

الكشاف

الصرح : القصر . وقيل : صحن الدار . وقرأ ابن كثير ساقيا بالهمزة . ووجهه أنه سمع سؤفا فأجرى عليه الواحد . والممرد : المملس وروي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على كريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين . وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسراهم لأنها كانت بنت جنيه . وقيل : خافوا أن يولد تجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأقطع فقالوا له : إن في عقلها شيئات وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشف عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدم لا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداه " إنه صرح ممرد من قوارير " وقيل : هي السبب في اتخاذ النورة : أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها عندها ثلاثة أيام وولدت به . وقيل : بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطة على اليمن وأمر زبيعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان " ظلمت نفسي " تريد بكفرها فيما تقدم تقدم وقيل حسب أن سليمان عليه السلام يغرقتها في اللجة فقالت : ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام .

" ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلوا بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون " وقرئ : أن اعبدوا بالضم على إتباع النون الباء طفريقان " فريق مؤمن وفريق كافر . وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد " يختصمون " يقول كل فريق : الحق معي . السيئة العقوبة والحسنة : التوبة فإن قلت : ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة ؟ وإنما يون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى ؟ قلت : كانوا يقلون لجهلهم : إن العقوبة التي بعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا - مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت . وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم : هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب ؟ " لعلكم ترحمون " تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه ؛ وتجهيلا فيما اعتقدوه .

" قالوا اطيننا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون " وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سائحا تيمنا وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير

والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته : أو من عمل العبد الذي هو السبب عي الرحمة والنعمة . ومنه قالوا : طائر الله لا طائر أي : قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائر الذي تتشاءم به وتتمين فلما قالوا : اطينا بكم أي : تشاء منا وكانوا قد قحطوا " قال طائرهم عند الله " أي سببكم الذي يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرملك . ويجوز أن يريد : عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة . ومنه قوله : " طائرهم معكم " يس : 19 ، " وكل إنسان ألزمناه طائره عن عنقه " الإسراء : 13 . وقرئ : تطيرنا بكم على الأصل . ومعنى : تطيرنا به تشاءم به . وتطير منه : نفر منه " تفتنون " تختبرون . أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة .

" وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصدقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عقبة مكرهم أنا دمرنهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون "